محاضرات السداسي الثاني : مقياس فلسفة التربية

عنوان المحاضرة: اتجاهات فلسفة التربية

الاتجاه الأول : الفلسفة المثالية

تمهيد:

تؤمن الفلسفة المثالية بافتراض وجود أفكار عامة ثابتة ومطلقة، وجدت بطريقة ما من قبل عقل عام أو أرواح عامة تمثل الحقيقة ذاتها، أما عالم الخبرات اليومية فليست بالعالم الحقيقي، وهي نظرة ازدواجية لطبيعة الأشياء من ضمنها التربية، فهناك عالم الأفكار العلوي، وعالم التجربة اليومية، عالم القادرين على العمل العقلي، وعالم غير القادرين على العمل العقلي.

تمجد الفلسفة المثالية خمسة عناصر هي:

أ- العقل، ب- الجمال، جـ- الدين، د- الأخلاق، هـ- الرياضة البدنية.

والمدرسة المثالية هي أقدم المدارس وترجع أصولها إلى الهند القديمة شرقًا و(أفلاطون) والمدرسة اليونانية في الغرب، وأهم الأفكار التي تقوم عليها المدرسة المثالية هي الطبيعة غير المادية للكون، وأن الإنسان كائن روحي حر غايته الرئيسية في الحياة التعبير عن طبيعته الخاصة، وعلى التربية أن تساعده على ذلك فهي تؤمن بسمو العقل على الجسم، وتعتبر العقل والفكر أسمى ما يتصف به الإنسان، ولذلك فإنها تنظر إلى المعرفة المكتسبة عن طريق العقل هي المعرفة الحقة فهي محصورة في الإدراكات العقلية بدل الحسية والمعاني الكلية بدل الجزئية.

1- الفلسفة المثالية والتربية:

تعلي المدرسة المثالية من قدر المعلم وتعتبره قدوة للتلميذ ومثاله الأعلى وقد كان (سقراط) وهو معلم يعمل على تأصيل الأفكار ولا يعتبرها كأشياء خارجة على نطاق المتعلم بل يعتبرها كإمكانيات في داخله بحاجة إلى أن تتحقق بالفعل .(د. زكية إبارهيم كامل، 2007، ص 78-80)

فالمدرسة المثالية تنادي بتلقين الأفكار وتدريب التفكير العقلي، لأن المعرفة كلها ليست من عمل الحواس ولكنها من صنع العقل البشري، وهو عنصر مشترك بين الناس وجب أن يكون مقياسًا لا تختلف نتائجه مهما اختلفت الظروف وتدعو إلى تنمية القيم الروحية.

ويقوم منهاج التربية في الفلسفة المثالية على مبدأ القديم على قدمه، وعدم قابلية المنهاج للتطور، أي ما توصل إليه الأجداد من تراث ثابت ومطلق، ولهذا تهدف –عن قصد- إلى حشو أدمغة التلاميذ بالمعلومات والحقائق المطلقة الثابتة التي توصل إليها الأجداد، ولا تهتم بتنمية القوى والجوانب الأخرى للتلاميذ كالجسمية والعقلية، كما تؤمن بالثواب والعقاب وتعتبر هذا الأخير شيئًا واجبًا لأنه يدرب ملكة الصبر عند التلميذ ويعتبر (أفلاطون) مؤسس ورائد هذه الفلسفة ومجمل آرائه التربوية من كتابه "الجمهورية".

2- رواد الفلسفة المثالية:

أ–سقراط:

حوّل (سقراط، 480–399 ق. م) النظر من الفلك والعناصر إلى النفس البشرية وإلى شؤون المجتمع ومشاكله، فقد كانت الفلسفة قبله منفصلة عن الحياة العملية، وهذا الانفصال كان سببا في عدم كفاية التفكير الفلسفي القديم، ولهذا عندما جاء "سقراط" وحاول أن يربط الفلسفة بالإنسان والمجتمع، اعتبر هذا الاتجاه الجديد منه تجديدا في مفهوم الفلسفة وفي فهموم التربية في الوقت ذاته، لأن الفلسفة والتربية في نظره متصلان إن لم يكونا أمرًا واحدًا، وكان (سقراط) يرى أن موضوع الفلسفة هو البحث في الإنسان من جهة أخلاقه وتقاليده وأحواله الاجتماعية، ابتغاء خيره وسعادته بمعرفة طبيعته الحقة لا بإتباع العرف السائد والعقائد البالية،

وقد ربط (سقراط) بين المعرفة والفضيلة وأكد أن علم الإنسان بأن الشيء خير، علمًا تامًا، يحمله حتما على عمله، ومعرفته بضرر الشيء تحمله حتمًا على تركه، وكل من المعرفة والفضيلة اللتين يعتبران في نظره توأمين لا ينفصلان يمكن تعلمهما واكتسابهما عن طريق التربية الصالحة.

والطريقة التي كان يستعملها (سقراط) في تعليم تلاميذه والمترددين على حلقاته هي الطريقة الحوارية التي تقوم على مرحلتين أساسيتين:

المرحلة الأولى: هي مرحلة التهكم التي يتمكن بواسطتها (سقراط) من أن يزعزع ما في نفس صاحبه من اليقين الذي يعتقده والذي لا أساس له من الصحة، وما يزال يتدرج في حواره مع صاحبه حتى يجعله يدرك أنه وقع في حيرة لا مخلص له منها وأنه تعرض لشيء لا مجال له فيه ويوقن بأنه جاهل مغرور وتشتد رغبته في معرفة الحقيقة وحينئذ تبدأ **المرحلة الثانية** والأخيرة وهي مرحلة اليقين بعد الشك، والمقصود من هذه المرحلة من جديد في الموضوع ومحاولة معرفة الحقيقة على أساس سليم.(د. عبد الرحمان بدوي،2009،ص183)

ب –أفلاطـون:

(أفلاطون، 427–347 ق. م) –وهو تلميذ سقراط– فإننا نجده قد تأثر في كثير من آرائه الفلسفية والتربوية العامة بآراء وطريقة (سقراط)، ومن بين المسائل التي يتفق فيها (أفلاطون) مع أستاذه (سقراط) العمل على جعل الفلسفة متصلة بالإنسان وبشؤون المجتمع، والقول بضرورة وضع قانون أخلاقي يعيد للمجتمع الإغريقي مجده القديم، ومحاولته لوضع أساس جديد للحياة الأخلاقية لا تتعارض فيه مصلحة الفرد مع مصلحة الجماعة، وقوله بأن أساس الفضيلة هي المعرفة، وبأن الهدف الأساسي من الفلسفة والتربية هو إصلاح الفرد والمجتمع والوصول إلى معرفة الخير وتنمية هذه المعرفة وطبع النفس الإنسانية على الخير وحب الخير والجمال، واتخاذه لطريقة الحوار والمناقشة أساسًا لكتابته وتعليمه.

ومن ناحية أخرى فإننا نجد أن (أفلاطون) قد خضع لعدة مؤثرات أخرى جعلته يختلف في كثير من آرائه ونظرياته عن (سقراط)، ومن بين هذه المؤثرات: أصله ونشأته الأرستقراطيتان، الضعف الذي اعترى "أثينا" وفقدانها لمنزلتها السامية التي كانت لها بين الولايات اليونانية، معاصرته للحرب طويلة المدى التي دارت رحاها بين "أثينا" و"أسبرطة" ثم امتدت حتى شملت بلاد اليونان بأكملها ، وهجرته وأسفاره خارج بلاد اليونان، ثم بعد ذلك

كله دراسته للمذاهب الفلسفية الشائعة في زمانه بما في ذلك مذاهب الفلسفة الشرقية كالهندية والفارسية، كل هذه العوامل أثرت من غير شك في فلسفة (أفلاطون) وفي نظريته التربوية وجعلته يختلف في كثير من آرائه عن آراء أستاذه التي كانت أقرب إلى روح الديمقراطية والبساطة.

فبالنسبة لمفهوم التربية وأهدافها عند (أفلاطون)، فإنه كان ينظر إلى التربية على أنها عملية تدريب أخلاقي أو هي المجهود الاختياري الذي يبذله الجيل القديم لنقل العادات الطيبة للحياة ونقل حكمة الكبار التي وصلوا إليها بتجاربهم إلى الجيل الصغير، وأما بالنسبة لأهداف التربية فإنه قد أشار إلى عدد منها في أمكنة متفرقة من كتابه (الجمهورية)، من بينها ما يلي:

– تحقيق وحدة الدولة، فالدولة التي تمثلها (أفلاطون) كان من أغراضها هدم روح الفردية المتفشية في "أثينا" في ذلك الوقت، ولذلك كان يرى أن الغرض الأول للتربية هو تنمية روح الجماعة أو الإحساس بالشعور بالحياة الجماعية.

– تنمية المواطنة الصحيحة في الأفراد، وذلك عن طريق إمداد الشباب بالمعرفة الدقيقة عن طبيعة الحكم وطبيعة الحق المطلق حتى يستطيعوا ممارسة الأعمال الرئيسية في الحياة المدنية والاجتماعية.

– إعلاء العقل على الأمور الحسية، والروح على البدن، وذلك عن طريق إيقاظ الملكة العاقلة فيه.

– تنمية الإحساس بالجمال ومحبة الخير والجمال.

– تحقيق التناسق في شخصية الإنسان وذلك عن طريق التوفيق بين مطالب الجسم والعقل، والحياة التي تقوم على العادة وتلك التي تقوم على التفكير، والمصالح الفردية ومصالح الدولة.

– إنتاج أطفال قادرين على حكم أنفسهم بأنفسهم، ويستطيعون بتفكيرهم التصرف في المسائل المتعلقة بسلوكهم وبذلك يوفرون على الدولة عبء إصدار تعليمات وقوانين تفصيلية في مثل هذه المسائل.

– تمدين الأطفال وتطبيعهم اجتماعيًا وتهذيب علاقاتهم بعضهم ببعض وعلاقاتهم بالذين يحكمونهم.

ويأخذ على فلسفته التربوية نزعته المثالية، ومبالغته في تقدير العنصر العقلي والعنصر الأدبي على حساب الجانب العملي في التربية، وعلى حساب الناحيتين الوجدانية والإرادية. بإضافة إلى نزعته الأرستقراطية.

والبعض خلقهم من الفضة ليقوموا بأعمال المساعدين، والبقية خلقهم من النحاس والحديد وهم الفلاحون والمزارعون والعمال... ».

الاتجاه الثاني : فلسفة التربية الإسلامية :

تمتد فترة ازدهار التربية الإسلامية ستة قرون من القرن السابع الميلادي عندما انتشر الإسلام في شبه الجزيرة العربية وانتقل إلى إمبراطوريتي الفرس والروم وحتى القرن الثالث عشر عندما سقطت بغداد على يد (هولاكو) المغولي عام 1258م، وتقسم هذه الفترة إلى عدة أطوار لكل واحد منها خصائصه التربوية.

1- أهداف التربية الإسلامية:

لم تكن أهداف التربية الإسلامية واحدة في كل العصور الإسلامية، ورغم ذلك فإننا نرجع أهداف التربية الإسلامية إلى ما يلي:

-الهدف الديني: ويركز على دراسة علوم الدين والشريعة.

-الهدف الدنيوي: وهو ما تعبر عنه التربية الحديثة بالغرض النفعي العملي، ولكل متطلبات الحياة، ويركز على دراسة علوم اللسان والتاريخ والجغرافية والكيمياء والفيزياء والطب والهندسة والفلك وغيرها من العلوم.

-هدف العلم من أجل العلم: ويعني طلب العلم في ذاته ولذاته معًا، وهذا الهدف يدفع صاحبه للتعلم والبحث لا لشيء سوى لذة البحث والعلم المجرد للكشف عن الحقيقة ودقائق المعرفة، وقد ورد في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ما يؤكد هذه الأهداف، في حين نجد أن أهداف التربية عند الأمم الأخرى إما دنيوية فقط كما كانت عند اليونان والرومان أو دينية فقط كما كانت عند بني إسرائيل والمسحيين في الصدر الأول، ومن هنا فهي تفوق غيرها من أنواع التربية عند الأمم قديمها وحديثها.

2- أسس فلسفة التربية الإسلامية:

إن أسس فلسفة التربية الإسلامية عبر العصور تتلخص في ما يلي:

- التربية الإسلامية مسؤولية فردية، فالفرد المسلم مطالب بتنمية نفسه بنفسه من مناهل العلم حسب إمكانياته وحسب توافر العلم في عصره.

- أنها تربية شاملة للجسد والروح والعقل، وتتدرج مع الإنسان حسب مراحل نموه المختلفة كما أنها متكاملة لا تقتصر على مكان ما وزمان معين بل تتم في كل زمان ومكان، وفي مختلف أماكن وجود الإنسان.

- تعتبر التربية الإسلامية تربية عملية تربط بين العلم والعمل وبين النظر والتطبيق.

- كل إنسان فيها معلم، فالكبير يعلم الصغير، والصغير يعلم الكبير، والمعلم قدوة لما يدعو إليه، ويأمر بالبر والخير ويلتزم بهما.

- أنها تربية قوامها الحرية، وتقوم على الانفتاح على البيئة المحلية وعلى العالم أجمع ورغم ذلك فإنها تقوم على الأصالة، ولكنها لا تأخذ من نظم التربية في العالم الخارجي إلا ما تحتاج إليه.

- تعطي دورًا مهمًا للجماعة التي توجه الأفراد والهيئات وترشدهم وتساعدهم، وتتم النقص فيما يقومون به من جهود. (ماجد عرسان الكيلاني، 1987 ، ص85 .)

3- التطبيقات التربوية لفلسفة التربية الإسلامية:

-الإسلام والمناهج: ليس هنالك اتفاق عام عند العلماء المسلمين على المناهج الدراسية ومقرراتها، ولا على المراحل الدراسية ووحدات التعليم فيها إلا أن هذا لا يحول دون استخلاص المبادئ العامة من المناهج المختلفة، وعلى ضوء ما تقدم فقد قسم المنهج إلى قسمين الأولي والعالي:

–المنهج الأولي: ومواده الدراسية هي: القرآن والدين والكتابة والشعر والنحو والقصص، وقد أشار (ابن خلدون) في مقدمته إلى أن دراسة القرآن كانت الأساس في جميع المدارس الأولية أو الكتاتيب، ثم تختلف بعد ذلك في المقررات الأولى بين بلد إسلامي وآخر، على أن التعليم في المرحلة الأولية لم يقتصر على هذا، ولم يقف عند حد الأخذ ببعض العلوم واكتساب المهارات الجسمية، بل تعدى ذلك إلى التربية الخلقية كما توضح ذلك مؤلفات (ابن الجوزي وابن مسكوية وابن سينا والغزالي).

ا–لمنهج العالي: تعددت المناهج في هذه المرحلة، فالطالب لم يكن مقيدا بدراسة مواد معينة ولم يفرض عليه منهج خاص، إلا أن المواد الدينية واللغوية كانت مشتركة بين جميع المناهج، ويمكن تقسيم المناهج في هذه المرحلة إلى قسمين: المنهج الديني الأدبي، والمنهج العلمي الأدبي، أما المناهج الدينية الأدبية فليخصها (الخوارزمي) في كتابه (مفاتيح العلوم) فيما يلي: علم الفقه، علم النحو، علم الكلام، الكتابة، العروض، علم الإخبار.

–الإسلام وطرائق التدريس: يحرص الإمام (الغزالي) على التفريق بين أساليب تعليم الكبار وأساليب تعليم الصغار، ويرجع ذلك إلى اختلاف درجة الإدراك بين الطفل والبالغ فيقول: «إن أول واجبات المربي أن يعلم الطفل ما يسهل عليه فهمه، لأن الموضوعات الصعبة تؤدي إلى ارتباكه العقلي وتنفره من العلم». وقد اتبع المسلمون إجمالا طريقة الحفظ والتلقين، ولاسيما في تعليم القرآن الكريم، أما في المراحل العليا فقد تميزت طريقة التعليم بكثرة النقاش والأسئلة بين الطلاب والأساتذة، بعد أن يفرغ الأستاذ من محاضرته.

–الإسلام والمدرس: نظر الإسلام إلى المدرس نظرة تقديس وإجلال وتعظيم تظهر من خلال أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) الكثيرة: «إن مداد العلماء لخير من دماء الشهداء»، يقول (الغزالي): «فمن علم وعمل بما علم فهو الذي يدعى عظيمًا في ملكوت السموات فإنه كالشمس تضيء لغيرها، ومن اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرًا عظيمًا وخطرًا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه».

وقد اشترط الإسلام في المعلم أن يكون متدينًا صادقًا في عمله وحليمًا يتحلى بالوقار والرفق والتواضع وعليه أن يقصد بتعليمه مرضاة الله تعالى قبل أي شيء آخر.(،أبو ريان، 1973،ص139-177)